IUGJEPS
Vol 28, No 4, 2020, pp 229 -243

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (11-9-2019)، تاريخ قبول النشر (21-10-2019)

النفخ في الناقور والمستثنى من الفزع والصعق في ضوء القرآن والسنة ومفاهيم الأمة

اسم الباحث الأول: د. خليل عبد الحميد العبادي [1] *

اسم الباحث الثاني: د. الليث صالح عتوم [1]

[1] اسم الجامعة والبلد: قسم أصول الدين - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: dallaithotoom@yahoo.com

الملخص:

تناول هذا البحث دراسة آيتي الاستثناء ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 87] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، حيث قام الباحث بتوضيح المعاني اللغوية والاصطلاحية للكلمات التي ذُكِرت في الآيتين ، والتي يدور عليها البحث ، والوقوف على أقوال أهل العلم في عدد نفخات الصور ، والمدة الزمنية بينها ، ومن الذي دخل في المشيئة في الآيتين.

وقد ذكرت أقوال أهل العلم في كل مسألة مبيناً الراجح منها ، وخلصت الدراسة إلى أن النفخ في الصور يكون مرتين ، والمدة الزمنية بينهما أربعون مجملة من غير تحديد ، وأن أقرب الأقوال في المستثنى في الآيتين هم الملائكة الأربعة : (جبريل ، ميكائيل ، إسرافيل ، ملك الموت) ، والشهداء ، والذي يلزمنا هو : التصديق والإيمان وتفويض الأمر إلى الله تعالى.

كلمات مفتاحية: النفخ، الصور ، الصعق ، الفزع ، الناقور .

Puffing in the Naqour and excluded from the panic and licking In light of the Quran and Sunnah and the concepts of the nation

Abstract:

This study deals with the study of the exception. The researcher explained the linguistic and theological meanings of the words mentioned in the two verses, which are the subject of the research, and the statement of the scholars in the number of puffs of pictures, and the time between them, and those who entered the will in the verses.

The researcher mentioned the views of the scholars in every question indicating what is likely of us. The study concluded that the blowing in the pictures is twice and the time between them is forty complete without specifying. The nearest words in the two verses are the four angels (Jibril, Mikael, Israfil and the malak almawt) , And perhaps stop in the appointment of the safest, which requires us is: ratification and faith and the mandate of the command to God Almighty

Keywords: Bloating, images, stun, panic, fistula.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المرسلين، وقائد الغر الميامين ، وبعد :

فإنَّ من أحداث يوم القيامة التي يجب على المؤمن الإيمان بها دون شكٍّ أو ريب، والاستِعْداد لها: النفخ في الصور ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف : 99] .

وقد ذَكَر الله عزَّ وجلَّ هذا النَّفخ في اثني عشر موضعاً من كتابه الكريم تصريحاً، وذكره بالمعنى في سور أخرى ، مما يدل على أهميته ومدى خطورته .

لكن بعد تدبر هذه الآيات الوقوف معها ، نجد أن جميع الأحياء من أهل السَّموات والأرض يفزعون ، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 87] ، ويصعقون كما في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، إلاَّ أن هناك فئة استثناها الله عزَّ وجلَّ واصطفاها في كلتا الآيتين بقوله ﴿ إلا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ ، إمَّا لمنزلتها عنده أو لحكمةٍ أرادها سبحانه .

ورغبةً في تدبر الآيتين والاستنارة بما سطَّره المفسرون، والكشف عما بينه الله تعالى لنا من هذه الحقيقة الغيبية ، عزمت على دراسة آيتي الاستثناء ، بينت المسائل المتعلقة بهما ، وناقشت أقوال العلماء ، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ السداد والتوفيق .

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتمحور مشكلة الدراسة حول تفسير آيتي الاستثناء، وما ورد من أقوال متعددة ، وآراء متباينة لأهل العلم من المفسرين وغيرهم في تحديد عدد نفخات الصور ، والمدة الزمنية بينها ، ومن المستثنى من الفزع والصعق في كلتا الآيتين ؟ .

وتحاول الإجابة على الأسئلة التالية:

1- على ماذا تدل كل من المصطلحات القرآنية التالية: (النفخ ، الصور ، الفزع ، الصعق) لغةً واصطلاحاً ؟

2- كم عدد النفخات في الصور ، هل هي نفختان أم أكثر ؟ وما هي المدة الزمنية بينها ؟

3- من هو المستثنى من الفزع والصعق عند النفخ في الصور ؟ ولماذا ؟ وهل هناك اختلاف في تعيينهم ؟ أم أن العلماء اتفقوا عليهم ؟

أهداف البحث:

يحاول البحث بيان عدد نفخات الصور، والمدة الزمنية بينها ، وتحديد المستثنى في الآيتين، وسبب استثنائهم ، وبيان أقوال العلماء فيها ، وتحليل كلامهم ومناقشتها للوصول إلى القول الراجح منها .

وفي هذا البحث أحاول أن أوضح مثل هذه القضايا، التي لو تدبَّرها الإنسانُ ؛ لازداد لله خشيةً ، وله طاعةً ، وبه استعاذةً ، كما كان سلفنا الصالح .

أهمية البحث:

ذكر الله عزَّ وجلَّ حال الخلق من الفزع والصعق عند النفخ في الناقور، وتباينت أقوال العلماء في هذه المسائل على أقوال مختلفة، فلأجل معرفة هذه الحقيقة كانت هذه الدراسة .

وهناك من العلماء من روى في هذه المسألة أحاديث ضعيفة، وبنى عليها تصوره العقدي ، ووقع عند عامة الناس أن هذا هو التصور العقدي الصحيح ، فكان لا بد من إقامة المسألة على الجادة والصواب .

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث قمت بتحليل الآيات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الواردة في الموضوع، وما ورد من آثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى، وما جاء في كتب التفسير حول هذه الآيات ، ثم استنبطت ما فيها من تصورات ودلالات .

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي واطلاعي على دراسة سابقة خصت هذه المسألة، وتفردت به بشكل مستقل، إلا أن هناك دراسات متعلقة بها، أذكر منها :

1 – مشاهد يوم القيامة، دراسة اسلوبيَّة، إعداد الطالب: أنس عوض القمول ، اشراف الأستاذ الدكتور : زهير المنصور ، جامعة مؤتة ، عام 2006 م .

2 – الدار الآخرة، النفخ في الصور ، للشيخ : ندى أبو أحمد .

خطة البحث:

ويشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين:

المقدمة: وفيها: مشكلة البحث وأهدافه وأهميته ومنهجه والدراسات السابقة المتعلقة به وخطته.

تمهيد: وفيه: التعريف بالنفخ والصُّور والفزع والصعق.

المبحث الأول: نفخات الصور .

المطلب الأول: أقوال العلماء في عدد النفخات.

المطلب الثاني: المدة الزمنية بين النفخات.

المبحث الثاني: المستثنى من المخلوقات من الفزع والصعق.

المطلب الأول: المستثنى من الفزع.

المطلب الثاني: المستثنى من الصعق.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج.

المراجع والمصادر

تمهيد

قبل الحديث في صلب البحث ومطالبه، وما يحتويه من مباحث ومسائل يحسن ذكر المعاني اللغوية والاصطلاحية للكلمات التي ذُكِرت في الآيتين ، من النفخ في الصور والفزع والصعق ، والتي يدور عليها البحث ؛ حتى نستبين السبيل ونفهم المقصود ونصل إلى الغاية المنشودة بإذن الله تعالى .

وهذه الكلمات هي:

أولاً: النفخ في اللغة :

يقول الراغب الأصفهاني: " النفخ ؛ نفخ الريح في الشيء ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه : 102] " [1] . ويقال : نَفخ في البوق أو اليَرَاع أو نحوهما : بعثَ فيه الرِّيح بقوَّة من فمه ليُحدِث صوتًا ، ونَفَخَ النَّارَ بالمِنْفاخ : أَخْرَجَ مِنْهُ الرِّيحَ لِيَظَلَّ الْجَمْرُ مُشْتَعِلاً مُلْتَهِباً ، ويُضْرَبُ المثل لِمَنْ يَبْذُلُ جُهوداً لا طائِلَ منها بالذي يَنْفُخُ في الرَّمادِ [2] .

[1] الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ج 1 ص 816 .

[2] المعجم الوسيط ، باب النون ج 2 ص 938 ، مادة (ن ف خ).

وفي معنى النفخ تحريك الهواء ونحوه، مما يحدث أثراً في الموجودات الحسية، وإن كان الهواء يمكن أن يحس ، إلا أنه لطيف خفيف ، لا يُحس إلا بعد جريانه وتحركه .

وهذا التحرك أو الجريان من شدته ينتج صوتاً، وله ذبذبات قوية تؤثر في الأرض والسماوات، مما تفسد نظامه واتزانه ، وعليه يقوم مفهوم النفخ في الصور .

والصور هو البوق، وهو خلق من خلق الله تعالى ، أعده لهذا الموقف العظيم في يوم القيامة ؛ ليحدث فيه النفخ للفزع والصعق ، ينفخ فيه ملك من الملائكة اسمه إسرافيل ، حين يأذن الله بقيام الساعة .

وسمّى القرآن الكريم الصور بالناقور أيضاً، اشتقاقاً من النقر ، بمعنى إظهار الصوت وإخراجه [1] ، " لأن الناقور يحدث صوتاً هائلاً " [2] .

ثانياً: النفخ في الاصطلاح :

ولا يخرج مفهوم المعنى الاصطلاحي عن مفهوم المعنى اللغوي ، فمعناه الاصطلاحي : هو النفخ المخصوص ، في الوقت المخصوص ، من الملك المخصوص ، لإيجاد ما أراد الله تعالى ، كما جاء في تفسير القرآن الكريم ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، من أن نافخاً ينفخ في صور عظيم ؛ لإرادة الله تعالى تغيير ما يريد تغييره في خلقه لأمر القيامة [3] .

ثالثاً: الصُّور في اللغة

هو شيءٌ كالقَرْن يُنْفَخ فيه، والجمع : أَصْوَار [4] ، يقول ابن أبي بكر الرازي : " (الصُّورُ) الْقَرْنُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام : 73] ، قَالَ الْكَلْبِي : لَا أَدْرِي مَا الصُّورُ . وَقِيل : هُوَ جَمْعُ (صُورَةٍ) ، مِثْلُ بُسْرَةٍ وَبُسْرٍ ، أَيْ يُنْفَخُ فِي صُورِ الْمَوْتَى الْأَرْوَاحُ " [5]

رابعاً: الصور في الاصطلاح :

أورد الإمام ابن جرير الطبري الخلاف في حقيقة الصور ، فقال : " فقال بعضهم : هو قرن ينفخ فيه نفختان ، إحداهما لفناء من كان حياً على الأرض ، والثانية لنشر كل ميت ، وقال آخرون : الصور : جمع صورة ، ينفخ فيها روحها فتحيا " [6] .

والإمام الطبري يرجح القول الأول قائلاً : " والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (إن إسرافيلَ قد التقم الصور ، وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ) ، وأنه قال : الصور قرن ينفخ فيه " [7] .

وقد أيد الإمام ابن كثير ما قاله الإمام الطبري ، حين قال : " والصحيح أن المراد بالصور : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام " [8] . وإلى هذا ذهب الإمام الرازي أيضا [1] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نقر ، ج 8 ص 672 .

[2] الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص 553 ، وانظر : الخطيب ، أصول العقيدة الإسلامية ، ص 382 . الدوري ، العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، ص 655 .

[3] انظر : عواجي ، الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار ، ج 1 ص 184 . وانظر : الميداني ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص 552 – 553 .

[4] انظر : المعجم الوسيط ، باب الصاد ، ج 1 ص 528 .

[5] الرازي ، مختار الصحاح ، ج 1 ص 180 .

[6] الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 11 ص 462 .

[7] المرجع السابق ، ج 11 ص 463 .

[8] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 3 ص 281 .

والذي يظهر مما سبق أن الصور قرن عظيم ينفخ فيه ، فيخرج منه صوتاً عظيماً وقوياً ، وأن الذي ينفخ فيه على التعيين هو أحد الملائكة الكبار ، وهو إسرافيل عليه السلام .

ونقل بعض العلماء الإجماع على ذلك [2] ، وأن هذا الصور عظيم جداً في الحجم ، حتى يستوعب الأرض والسماوات في إيصال الصوت المرعب لجميع المخلوقات ، ويتم الفزع والصعق ، ولا ينجو منهما أحد ، إلا من استثناه الله تعالى .

خامساً: الفزع في اللغة

الفزع هو الخوف والذعر ، يقال رَجُلٌ فَزِعٌ أي خَائِفٌ خَوْفاً شَدِيداً [3] ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 87] .

وقال تعالى يصف نبيه داوود عندما دخلت عليه الملائكة : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ ﴾ [ص : 22] ، وقال سبحانه عن المؤمنين : ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : 103] .

والمعنى أن الفزع هو أول الخوف، أو أحياناً هو نوع من التفاجؤ ، والذي هو جبلي في الإنسان ، ثم يأتي الخوف ، الذي ينشأ عن تمهل وتفكير في الأمر ، ويحتمل أيضاً أن يكون معنى الفزع هو الخوف الشديد المفرط ، الذي يذهب عقل الإنسان ، ويفسد اتزانه .

سادسا : الفزع في الاصطلاح :

ويمكن استنباط معنى الفزع من المعنى اللغوي ، حيث يعرّف الفزع بأنه : هو الخوف الشديد ، وذهاب العقل من هول ما يعاين الإنسان في يوم القيامة .

سابعاً : الصعق في اللغة :

الصَّعِقُ : هو من غشي عليه ، يقال صعِق الرّجُلُ : أي أصابته صاعقة أو صَعْقة كهربائيَّة ، فغُشِيَ عليه ، وذهب عقلُه من صوتٍ يسمعه كالهدّة الشّديدة ، قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ [الطور : 45] [4] .

والصَّاعِقةُ نار تسقط من السماء في رعد شديد ، وتطلق أيضا على صيحة العذاب وعلى كل عذاب مهلك ، وقوله ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي مات [5] .

ثامناً: الصعق في الاصطلاح :

ولشدة الخوف والجزع يحصل الصعق، فهو مترتب على ما يحصل من أثر سابق في النفخة الأولى ، وهذا الغشيان أو الإغماء يحصل عند تعرض الإنسان لأمر خارج نطاق قدراته الروحية أو الجسدية ، فإذا أصابه مرض أو إصابة شديدة في جسده حصل ، وإذا ألمّ به حزن شديد أو فكر عميق أو توتر نفسي ربما أغشي عليه .

المبحث الأول: نفخات الصور .

المطلب الأول: أقوال العلماء في عدد نفخات الصور .

اختلف العلماء في تحديد عدد النفخات على أقوال عدة، ويعود سبب الخلاف في ذلك إلى اختلاف فهمهم للآيات ، واختلافهم في اعتماد صحة الأحاديث أو تضعيفها ، إذ أن هذا من الموضوعات الغيبية التي لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال ما جاء في صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية .

---

[1] الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، ج 2 ص 387 .

[2] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 11 ص 368 .

[3] انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 8 ص 251 .

[4] انظر : مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، باب الصاد ، ج 1 ص 515 .

[5] انظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ج 1 ص 176 .

وهذه هي الأقوال مع أبرز الأدلة عليها :

القول الأول : على أنها أكثر من ثلاث نفخات ، قاله ابن حزم [1] ، ونقله الألوسي عن القاضي عياض ، وقال به غيره ، حيث قالوا إنها : أولاً : نفخة الموت ، وثانياً : نفخة البعث ، وثالثاً : نفخة الصعق ، وهي نفخة الفزع عينها ، ورابعاً : نفخة الإفاقة .

والذين غايروا بين نفخة والفزع والصعق ، قالوا بأنها خمسة [2] .

وهذا القول رده أهل العلم ، وليس لهم عليه دليل ، لا من القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة ، ولا من فهم العلماء لهذه النصوص النقلية ، ولا شاهد عليه من قريب أو بعيد .

القول الثاني : ذكر جَمْعٌ من أهل العلم أنها نفخات ثلاثة ، وهي : أولاً : نفخة الفَزَع ، وثانياً : نفخة الصَّعق، وثالثاً : نفخة البَعث

وهذا قول ابن العربي [3] ، وابن تيمية ، وابن كثير ، والشوكاني [4] .

وقد ذكر الألوسي الخلاف في المسألة ، ورجح على أنها ثلاث [5] .

وحجتهم في ذلك أن القرآن قد أخبر بثلاث نفخات ، نفخة الفزع ذكرها في سورة النمل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 87] ، ونفخة الصعق والقيام في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " آية (النمل) هذه فيها نفخة الفزع ، والآية الأخرى فيها النفختان الصعق والإحياء " [6] .

والمعنى المستخرج من هذه الآيات محتمل ، له وجه في دلالة النصوص عليه ، ويقبله العقل ويحكم بإمكانه ، فالنفخ هنا متحصل باثنتين .

واستدل أصحاب هذا القول ببعض الأحاديث والآثار التي تنص على أنها ثلاث نفخات ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطَّويل ، الذي أخرجه الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية : أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله ، ما الصُّور؟ قال : (قَرْنٌ) ، قال : وكيف هو ؟ قال : قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخاتٍ : الأولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ القِيَامِ للهِ رَبِّ العَالَمينَ ...) " [7] .

القول الثالث : ذهب كثير من أهل العلم كالقرطبي ، وابن حجر العسقلاني ، والبغوي ، والزمخشري ، وغيرهم ، على أنها نفختان .

وقدموا الأدلة على قولهم بذكر جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، منها : قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات : 6 – 7] ، قال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك : إن الرَّاجفة : النفخة الأولى ، والرادفة : النفخة الآخرة [8] .

---

[1] نقله عنه : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 6 ص 446 .

[2] انظر : الألوسي ، روح المعاني ، ج 10 ص 241 .

[3] نقله عنه : القرطبي ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، ج 1 ص 510 .

[4] انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج 16 ص 35 . وانظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 19 ص 310 .

[5] انظر : الألوسي ، روح المعاني ، ج 10 ص 241 .

[6] انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج 16 ص 35 .

[7] أخرجه الطبري في تفسيره ، ج 18 ص 558 . والحديث رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، انظر : الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ص 198 .

[8] انظر : المرجع السابق ، ج 24 ص 185 .

وأما السنة فقد جاءت مصرّحة بالنفختين ؛ كما أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ) ، قال : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قال : أَبَيْتُ ، قال : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قال : أَبَيْتُ ، قال : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قال : (ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ؛ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ ، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ) [1] ، وهذا نص صريح على أنهما نفختان فقط ، ولا يحتمل أنهما أكثر من ذلك .

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنَّه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ... ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا [2] ، قال : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ ، قال : فَيَصْعَقُ ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ – أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ – نُعْمَانُ الشَّاكُّ – فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ، قال : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ ، فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ : فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" [3] .

قلت : الذي يظهر – والله أعلم– أن النفخ في الصور يكون مرتين ؛ لأن ما ذكره الفريق الأول رده أهل العلم ، وأجابوا على أن استدلال الفريق الثاني بالآية التي تَذكر نفخةَ الفزَع بأنها ليست صريحةً على أن هذه نفخة ثالثة ؛ إذ لا يَلزم مِن ذِكر الله تعالى للفزع الذي يُصيب الخلائق أجمعين عند النَّفخ في الصور أن تجعل هذه نفخة مستقلَّة ؛ فالنفخة الأولى تفزع الأحياءَ ثم يصعقون ، وهو ما دل عليه منطوق الآية في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : 87] ، وإذا ضممنا إليها الآية الأخرى في قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68] ، فالفزع والصعق يكون في نفخة واحدة ، ثم في النَّفخة الثانية يبعثون ، ودلالة الحديث الذي أخرجه الشيخان واضحة وصريحة ، على أنهما نفختان لا غير.

يقول الإمامُ القرطبي رحمه الله تعالى : " وَأَنَّ الصَّحِيحَ فِي النَّفْخِ فِي الصُّوَرِ أَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ لَا ثَلَاثَ ، وَأَنَّ نَفْخَةَ الْفَزَعِ إِنَّمَا تَكُونُ رَاجِعَةً إِلَى نَفْخَةِ الصَّعْقِ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَيْنِ لَا زَمَانَ لَهُمَا ، أَيْ فَزِعُوا فَزَعًا مَاتُوا مِنْهُ ، أَوْ إِلَى نَفْخَةِ الْبَعْثِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْقُشَيْرِيِّ وَغَيْرِهِ " [4] .

فعند النَّفخة الأولى تَفزَع الخلائق ويَبلغ الخوفُ منها كلَّ مَبلغ ؛ لهول الأمر وشدَّتِه ، ثمَ يصعق الكلُّ إلَّا مَن استثنى اللهُ تعالى ، فإذا نُفِخ ثانية فزعوا وقاموا من الأجداث والقبورِ ؛ ليَقفوا للحِساب بين يدَي الله عز وجل ، والفزعة الأولى غير الفزعة الثانية .

وقد ذكر العسقلاني من أن حديث الصور الذي أخرجه الطبري رحمه الله وغيره ، هو حديثٌ ضعيف مضطرب ؛ ونَقَل تضعيفَه عن البيهقي رحمه الله تعالى عند شرحه لصحيح البخاري [5] .

---

[1] متفق عليه ، أخرجه البخاري ، في كتاب تفسير القرآن ، بَابُ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (زُمَرًا) النبأ : (18) ، رقم الحديث : (4935) ، ج 6 ص 165 ، واللفظ له ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ ، رقم الحديث : (2955) ، ج 4 ص 2270 .

[2] لِيتًا بكسر اللام وآخره مثنَّاة فوق: وهي صفحة العنق ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج 7 ص 213 .

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَابٌ فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ ، وَنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ ، وَذَهَابِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَبَقَاءِ شِرَارِ النَّاسِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ ، وَبَعْثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، رقم الحديث : (2940) ، ج 4 ص 2258 .

[4] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج 13 ص 240 .

[5] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 11 ص 367 .

المطلب الثاني: المدة الزمنية بين النفخات .

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بين النفختين أربعون ، قالوا: يا أبا هريرة – وهو راوي الحديث – أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيتُ ، قال : ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شيء إلا يبله إلا عظماً واحداً ، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " [1] .

قال النووي: " قوله صلى الله عليه وسلم : (ما بين النفختين أربعون ، قالوا : يا أبا هريرة أربعين يوما ؟ قال : أبيت . . . إلى آخره) معناه : أبيتُ أن أجزم أن المراد أربعون يوماً ، أو سنةً ، أو شهراً ، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة " [2] .

ثم يرجح النووي بأنها أربعون سنة ، ويستشهد برواية في غير صحيح مسلم مفسرة لها بأنها أربعون سنة [3] ، إلا أن الحافظ ابن حجر رحمه الله ضعفها ، وإليك كلامه : " وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم أربعين سنة ، ولا وجود لذلك ، نعم أخرج بن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد أربعون سنة ، وهو شاذ ومن وجه ضعيف ، عن ابن عباس قال : ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة ، ذكره في أواخر سورة ص ، وكأن أبا هريرة لم يسمعها إلا مجملة ؛ فلهذا قال لمن له عينها أبيت ، وقد أخرج بن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال : بين النفختين أربعون ، قالوا : أربعون ماذا ؟ قال : هكذا سمعت ، وقال ابن التين : ويحتمل أيضا أن يكون علم ذلك لكن سكت ليخبرهم في وقت ، أو اشتغل عن الإعلام حينئذ ، ووقع في جامع بن وهب أربعين جمعة ، وسنده منقطع " [4] .

قلت : ولم أقف على حديث صحيح يبين المدة بين النفختين ، بل هي كما جاءت في حديث أبي هريرة أربعين مجملة ، ولا نستطيع الجزم بتحديدها ، وربما الزمان والوقت في يوم القيامة ليس كوقت وزمان الدنيا ؛ ولذلك لم يجزم أبو هريرة بتحديدها .

وأما مدة استمرار النفخ فلم أقف على نص فيها ، إلا أن النفخ يستمر حتى يتحقق الهدف والغاية منه ، وهو الفزع والصعق .

المبحث الثاني: المستثنى من المخلوقات من الفزع والصعق .

المطلب الأول: المستثنى من الفزع (آية سورة النمل)

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل : 87] .

جاءت الأقوال في المستثنى من الفزع كما يلي :

[1] متفق عليه ، أخرجه البخاري ، في كتاب تفسير القرآن ، بَابُ قَوْلِهِ : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} ، رقم الحديث : (4814) ، ج 6 ص 126 ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ ، رقم الحديث : (2955) ، ج 4 ص 2270 .

[2] النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج 18 ص 91 . وقد ذكر العسقلاني معاني قول أبي هريرة رضي الله عنه : " أَبَيْتُ " ؛ كما ذكرها العلماء ، ومنها : الأول : أبيْتُ أن أستفسرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الأربعين ، الثاني : امتنَعْتُ من تبيينه ؛ لأنِّي لا أَعلمه ، فلا أخوض فيه بالرَّأي ، وقال القرطبيُّ في التذكرة : يحتمل قوله : امتنعتُ أن يكون عنده علمٌ منه ، ولكنَّه لم يفسِّره لأنَّه لم تَدْعُ الحاجة إلى بيانه ، ويحتمل أن يريد امتنعتُ أن أسأل عن تفسيره ؛ انظر ، العسقلاني ، فتح الباري ، ج 11 ص 370 .

[3] انظر : النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج 18 ص 91 .

[4] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 8 ص 552 .

1- القول الأول: ميكائيل وجبريل وإسرافيل وملك الموت ، وإلى هذا القول ذهب مقاتل بن سليمان ، والكلبي ، والحسن ، ونُقل عن ابن عباس ، وذكره الطبري وابن كثير والبغوي والنسفي والبيضاوي وغيرهم ، عند تفسيرهم لهذه الآية ، ومن أهل العلم من زاد عليهم حملة العرش كما جاء في بعض الروايات [1] .

ومن قال بهذا استند إلى حديث موت الملائكة الذي رواه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره [2] ، وهو حديثٌ ضعيف مضطرب، كما قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ، ونَقّل تضعيفَ هذا الحديث أيضاً عن البيهقي [3] .

وسلك هؤلاء منهج التقيد بما جاء في المسألة من نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية صحيحة، وقد ذكرتها سابقاً ، واعتمدوا على النقل في تقرير المسألة ، إذ لا يثبت في هذه المسائل إلا ما ورد فيها من نقل صحيح من الوحي .

2-القول الثاني: الشهداء، قال به أبو هريرة ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ونقله الطبري عن علقمة والشعبيّ ، وجاء في كثير من كتب التفسير [4] .

يقول القرطبي رحمه الله: " وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي تَعْيِينِهِمْ خَبَرٌ صَحِيحٌ وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ . قُلْتُ : خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ صَحَّحَهُ القاضي أبو بكر الْعَرَبِيّ فَلْيُعَوَّلْ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ نَصٌّ فِي التَّعْيِينِ وَغَيْرُهُ اجْتِهَادٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " [5] .

ويذكر الإمام ابن جرير الطبري حديثاً بسنده، مبيناً بأنهم الشهداء ؛ لأنهم كما قال الله تعالى فيهم بأنهم أحياء يرزقون عند ربهم ، وهذا كلامه : " قيل : إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ الشهداء ، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون ، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه في الخبر الماضي [6] . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوّام عمن حدثه ، عن أبي هريرة ، أنه قرأ هذه الآية : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ قال : هم الشهداء " [7] .

---

[1] انظر : الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، ج 24 ص 574 . وانظر : الأزدي ، تفسير مقاتل بن سليمان ، ج 3 ص 318 . البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، ج 6 ص 182 . اذكر من هذه الروايات : ما رواه الطبري بسنده عن عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فقيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : " جبرائيلَ وميكائيلَ , ومَلكَ المَوْتِ , فإذَا قَبَضَ أرْوَاحَ الخَلائِقِ ، قالَ: يَا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِيَ ؟ وَهُوَ أعْلَمُ ، قال : يَقُولُ : سُبْحانَكَ تَبارَكْتَ رَبِّي ذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ , بَقِيَ جِبْرِيلُ وَمِيكائيل وَمَلَكُ المَوْتِ ، قال : يَقُولُ يَا مَلَكَ المَوْتِ خُذْ نَفْسَ مِيكائيلَ ، قالَ : فَيَقَعُ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ , قال : ثُمَّ يَقُولُ : يَا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِيَ ؟ فيَقُولُ : سُبْحَانَكَ رَبِّي يا ذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ , بَقِيَ جِبْرِيلُ وَمَلَكُ المَوْتِ , قَالَ : فَيَقُولُ : يا مَلَكَ المَوْتِ مُتْ , قالَ : فَيَمُوتُ ، قالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يا جِبْرِيلُ مَنْ بَقِيَ ؟ قالَ : فيَقُولُ جِبْرِيلُ : سُبْحَانَكَ رَبّي يَا ذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ , بَقِيَ جِبْرِيلُ , وَهُوَ مِنَ اللهِ بالمَكانِ الَّذي هُوَ بِهِ ، قالَ : فَيَقُولُ يَا جِبْرِيلُ لا بُدَّ مِنْ مَوْتَةٍ ، قالَ : فَيَقَعُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجناحَيْه يَقُولُ : سُبْحَانَكَ رَبِّي تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ , أَنْتَ البَاقِي وجِبْرِيلُ المَيِّتُ الفَانِي : قال : ويأْخُذُ رُوحَهُ في الحلْقَةِ التي خُلِقَ مِنْها , قالَ : فَيَقَعُ على مِيكائِيلَ أنَّ فَضْلَ خَلْقِهِ على خَلْقِ مِيكَائيل كفَضْلِ الطَّوْدِ العَظِيمِ عَلى الظَّرْبِ مِنَ الظِّرابِ " . الظرب : الجبل المنبسط . وقيل : هو الجبل الصغير .

[2] الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري ، ج 21 ص 331 . وحديث موت الملائكة ذكرته في الهامش السابق .

[3] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 11 ص 367 .

[4] انظر : الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج 3 ص 372 .

[5] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج 13 ص 241 .

[6] وهو ما رواه الطبري عن أبي هريرة قال : " .... يا رسول الله , فمن استثنى الله حين يقول : (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) قال : " أولَئِكَ الشُّهَدَاءُ , وإنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ , أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ , وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَومِ وآمَنَهُمْ, وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ عَلى شِرارِ خَلْقِهِ " ، انظر : الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 19 ص 554 . والحديث تقدم تخريجه في البحث صفحة 13 .

[7] الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 19 ص 554 .

ومن قال بهذا القول استند إلى النقل، وناقش ما ورد فيه من الأحاديث عقلياً ، وبيّن أن ما ورد من أخبار فيهم صحيح ، إلا أن المتعين منهم محتمل ؛ فالنص في التعيين على أسماء وأشخاص محددة يحتمله النص .

3- القول الثالث : الأنبياء والرسل ، ذكره الماتريدي [1] ، وقال به القشيري ، وذلك لأن الأنبياء أحياء عند الله تعالى ، وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا ، وقد ثبت ذلك للشهداء ، ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء [2] .

يقول القرطبي في تفسيره: " ثم اخْتُلِفَ فِي هَذَا الْمُسْتَثْنَى مَنْ هُمْ ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ إِنَّمَا يَصِلُ الْفَزَعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ مُتَقَلِّدُو السُّيُوفَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : الْأَنْبِيَاءُ دَاخِلُونَ فِي جُمْلَتِهِمْ ، لِأَنَّ لَهُمُ الشَّهَادَةَ مَعَ النُّبُوَّةِ ، وَقِيلَ : الْمَلَائِكَةُ " [3] .

ومن قال بهذا القول استند إلى النقل في تقريره لهذه المسألة، وأعمل العقل في ترجيح من هم ، متأثراً بمنهج المدرسة التي يتبع لها وينتمي إليها ، فالماتريدي مؤسس المدرسة الماتريدية من أهل السنة ، والقشيري [4] من المدرسة الأشعرية .

4-القول الرابع : المؤمنون ، ذكره القرطبي ، حيث يقول : " وَقِيلَ : هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَقِبَ هَذَا : ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ " [5] .

ومن قال بهذا القول استند إلى النقل في ترجيح تعيينهم ، ورجع إلى القرآن الكريم، وفسر الآية بالآية، معتمدا على منهج بعض المفسرين في تفسير القرآن الكريم بالقرآن.

5- القول الخامس: الحور العين وخَزَنة النَّار وحملة العرش ، وبه قال الضحاك نقله عنه الزمخشري والرازي وغيرهم [6] .

يقول ابن الجوزي: " إنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن ، وكذلك مَن في النار ، لأنهم خُلقوا للبقاء ، ذكره أبو إسحاق بن شاقلا [7] من أصحابنا " [8] .

ومن قال بهذا القول استند إلى إعمال العقل في فهم النص القرآني ، متأثراً بالمنهج العقلي عند المدرسة الأشعرية [9] ، وبالمنهج الاعتزالي [1] .

---

[1] أبو منصور الماتريدي ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، ج 8 ص 141 .

[2] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 6 ص 444 .

[3] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج 13 ص241.

[4] هو الإمام الزاهد ، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري ، الخراساني ، النيسابوري ، الشافعي ، الصوفي ، المفسر ، صاحب كتاب الرسالة . انظر ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 18 ص 227 .

[5] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، ج 13 ص241.

[6] انظر : الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ج 3 ص 386 .

[7] شيخ الحنابلة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البغدادي البزاز ، كان رأسا في الأصول والفروع ، سمع من : دعلج السجزي ، وأبي بكر الشافعي ، وتفقه بأبي بكر غلام الخلال ، مات في رجب سنة 369 هـ . انظر ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 16 ص 292 .

[8] الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، ج 3 ص 372 .

[9] الأشعرية : نسبة إلى إمامها ومؤسسها أبي الحسن الأشعري ، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري ، هي مدرسة إسلامية سنية ، اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث ، فدعمت اتجاهم العقدي . انظر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، https://ar.wikipedia.org/wiki

6- القول السادس: وقال بعضهم : يعني من في الجنة ومن في النار من الخدم والخزنة ، ذكره السمرقندي في تفسيره [2] ، ولا مستند عندهم في قولهم هذا .

7- القول السابع: ومِن أهل العلم مَن توقَّف ؛ كالإمام قتادة ، حيث قال : " قد استثنى الله ، والله أعلمُ إلى ما صارت ثنيته " [3] ، ونقل عنه الرازي أنه قال : " اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَنَّهُمْ مَنْ هُمْ ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ مَنْ هُمْ " [4] .

ومن قال بهذا القول أراد السلامة، وعدم الخوض بالمسألة ، معتمداً على أنه يكفيه ما ورد في القرآن من دون تفصيل أو بيان أو إجمال ، وخاصة في هذه المسائل الغيبية ، فما لم يوضحه النقل من دون تفصيل ؛ فلا داعي للخوض فيه ، وهو الراجح .

المطلب الثاني: المستثنى من الصعق (آية سورة الزمر)

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : 68]

عندما رجعت إلى كتب المفسرين، وجدت أنهم ذكروا المستثنى في هذه الآية ، هم ذاتهم في الآية السابقة من سورة النمل ، فلا داعي لتكرار تلك الأقوال ، إلا أن بعض أهل العلم أدخل الموتى في هذا الاستثناء ؛ لأن في نفخة الصعق يموت الخلق ، والموتى سبق لهم الموت ، وتحقق لهم الصعق ، ولا يكون لهم صعق أكثر من مرة ، إذ أن الآيات تتحدث عن صعقة واحدة فقط .

ومن أهل العلم أيضاً من استثنى موسى عليه السلام؛ لأنه خبره جاء في حديث صحيح ، وهذا لا يعارض ما سبق ؛ لأن الأنبياء أحياء عند الله ، وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا ، وقد ثبت ذلك للشهداء ، ولا شك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء [5] .

روى الإمام البخاري بسنده، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ ، فَقَالَ : يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ : مَنْ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، قَالَ : (ادْعُوهُ) ، فَقَالَ : (أَضَرَبْتَهُ ؟) ، قَالَ : سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ ، قُلْتُ : أَيْ خَبِيثُ ، عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى) [6] .

قلت : ولا أستطيع أن أجزم بهذا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجزم بأنه استثني ، فكيف بنا ؟! وربما كان المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلم الصحابة رضي الله عنهم أن لا يحتقروا أو يقللوا من شأن الأنبياء السابقين ؛ فبيّن مكانة موسى عليه السلام وفضله عند الله تعالى في ذلك اليوم بأنه يسبقه إلى العرش ، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم في الإيمان بهم وبمكانتهم عند الله ، إذ ذلك من أصول عقيدتنا .

---

[1] المعتزلة : فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي ولقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل . انظر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] انظر : أبو الليث السمرقندي ، بحر العلوم ، ج 2 ص 595 .

[3] الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 21 ص 332 .

[4] انظر : الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، ج 27 ص 476 .

[5] انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 6 ص 444 .

[6] أخرجه البخاري ، في كتاب الخصومات ، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الأَشْخَاصِ وَالخُصُومَةِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَاليَهُودِ ، رقم الحديث : (2412) ، ج 3 ص 121 .

الترجيح بين الأقوال:

قلت: أقرب الأقوال إلى الصحة: الملائكة الأربعة والشهداء ، ويدخل معهم بالضرورة الأنبياء عليهم السلام ؛ لأنه جاء بهم أحاديث صريحة ، ويجمع هذه الأقوال علة واحدة ، وهي : أهميتهم وفضلهم ومنزلتهم الرفيعة والعالية عند الله تعالى .

وأما الأقوال الأخرى فإنها لا تستند إلى دليل، وأكثرها ذكرها المفسرون بصيغة التمريض (قيل) ، ولعل التوقف في تعيينهم أسلم ، والله أعلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما الاستثناء فهو متناول لمَن في الجَنَّة من الحور العين ، فإن الجَنَّة ليس فيها موت ، ومتناول لغيرهم ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله ، فإن الله أطلق في كتابه ... ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد توقف في موسى ، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا ؟ فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يُخبر بكل من استثنى الله ، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك ، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء ، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به ، .... والله أعلم "[1] .

[1] ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج 4 ص 261 .

الخاتمة:

بعد هذا التفصيل، خلص الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1. ثبوت النَّفخ في الصور.

2. عظَمَة الملَك الموكَّل بالنَّفخ في الصور؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في وَصْف عينيه : " كأنَّ عينيه كوكبان درِّيَّان " ، ومن ذلك أيضاً أنَّه بنَفخَةٍ واحدة منه يَصعَق مَن في السموات والأرض ، وبنَفخة ثانية منه يَعودون أحياء ، فهذا يدلُّ عِظَمَ هذه القوَّة .

3. أن الناقور قرن عظيم ينفخ فيه نفختان، الأولى لإماتة الأحياء في الكون ، والثانية لبعث كل ميت ، ويكون هذا النفخ في وقت مخصوص ، من ملك مخصوص ، لإيجاد ما أراد الله تعالى .

4. اختلف أهل العلم في عدد نفخات الصور على ثلاثة أقوال، ولعل أقربها إلى الصواب أنهما نفختان، وأن المدة الزمنية بينهما أربعون مجملة من غير تحديد.

5. بلغت أقوال أهل العلم في الذين دخلوا في مشيئة الله تعالى عند النفخ في الناقور سبعة أقوال، أكثرها ليس عليه دليل ، إلا أن هناك أحاديث مختلف في صحتها ، ذكرت أنهم الملائكة الأربعة (ميكائيل ، وجبريل ، وإسرافيل ، وملك الموت) ويلحق بهم الشهداء ، ومن باب أولى كذلك الأنبياء ، وهو قول قريب إلى الصحة ، ولكن التوقف في تعينهم أصح وأسلم ، والذي يلزمنا هو : التصديق والإيمان وتفويض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى .

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بـــ:

1. تفعيل الإنسان الخوف من الله تعالى، والعمل على جعله حاضراً في كلِّ وقت وكلِّ حين ، وليس أدلَّ على ذلك من خوف الملائكة الشديد من الله تعالى ؛ فإسرافيل عليه السلام على عظَمَته لم يَطرف قطُّ خشية أن يُؤمر بالنَّفخ ؛ بل عيناه شاخِصتان تجاه العرش ، يَنتظر الأمرَ الربَّاني ليَأتمر به .

2. الإشفاق من النَّفخ في الصور، كما الصَّحابة الكِرام رضي الله تعالى عنهم ؛ حيث بادَروا بسؤال النبيّ صلى الله عليه وسلم عمَّا يقولونه أو يَفعلونه ، فأرشَدَهم إلى ما يثبِت توكُّلَهم على مَن بيده الأمر كله ، وإليه يُرجَع الأمر كلُّه جلَّ جلاله ، كقوله صلى الله عليه وسلم : قولوا : " حَسبنا الله ونِعْم الوكيل ، على الله توكَّلنا " ، وربَّما قال : " توكَّلنا على الله " .

3. تعظيم شَأن التوكُّل على الله تعالى؛ حيث إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أرشد الصَّحابةَ رضي الله عنهم للتلفُّظ بذلك الكَلِم المبارَك : " حَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل " ، عند سماعِهم لهذا الخبر الجَلَل .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

الأصفهاني ، الحسين بن محمد بن المفضل (1412 هـ) ، ***المفردات في غريب القرآن*** ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، ط 1 ، دمشق : دار القلم ، بيروت : الدار الشامية .

الألوسي ، محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله (1415 هـ) ، ***روح المعاني*** ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، ط 1 ، بيروت : دار الكتب العلمية .

البخاري ، محمد بن إسماعيل (1422 هـ) ، ***صحيح البخاري*** ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط 1 ، دار طوق النجاة .

البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (1417 هـ) ، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*** ، تحقيق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، ط 4 ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (1416 هـ) ، ***مجموع الفتاوى*** ، المحقق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، (د . ط) ، المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (1975 م) ، ***سنن الترمذي*** ، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ، ط 2 ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد (1422 هـ) ، ***زاد المسير في علم التفسير*** ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط 1 ، بيروت : دار الكتاب العربي .

الحجاج ، مسلم بن الحجاج بن مسلم (د . ت) ، ***صحيح مسلم*** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (د . ط) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

الخطيب ، محمد أحمد (2013 م) ، ***أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها*** ، ط 2 ، عمان : دار المسيرة .

الدوري ، قحطان عبد الرحمن (2013 م) ، ***العقيدة الإسلامية ومذاهبها*** ، ط 4 ، لبنان بيروت : دار كتاب ناشرون .

الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (1985 م) ، ***سير أعلام النبلاء*** ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط 3 ، الأردن : مؤسسة الرسالة .

الرازي ، زين الدين الحنفي (1420 هـ) ، ***مختار الصحاح*** ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، ط 5 ، بيروت : المكتبة العصرية ، صيدا : الدار النموذجية .

الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (1420 هـ) ، ***مفاتيح الغيب التفسير الكبير*** ، ط 3 ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (1407 هـ) ، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*** ، ط 3 ، بيروت : دار الكتاب العربي .

ابن سليمان ، مقاتل (1423 هـ) ، ***تفسير مقاتل بن سليمان*** ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، ط 1 ، بيروت : دار إحياء التراث .

السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (د . ت) ، ***بحر العلوم = تفسير السمرقندي*** ، (د . ط) ، دار الكتب العلمية .

العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (1379 هـ) ، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري*** ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب ، (د . ط) ، بيروت : دار المعرفة .

الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد (1420 هـ) ، ***جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري*** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، عمان : مؤسسة الرسالة .

عواجي ، غالب بن علي (1421 هـ) ، ***الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار*** ، ط 2 ، جدة : المكتبة العصرية الذهبية .

القرطبي ، محمد بن أحمد (1425 هـ) ، ***التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة*** ، تحقيق ودراسة : الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم ، ط 1 ، الرياض : مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع .

القرطبي ، محمد بن أحمد (1384 هـ) ، ***الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*** ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط 2 ، القاهرة : دار الكتب المصرية .

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1420 هـ) ، ***تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير*** ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، ط 2 ، دار طيبة للنشر والتوزيع .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1418 هـ) ، ***البداية والنهاية*** ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط 1 ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان .

الماتريدي ، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (1426 هـ) ، ***تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي*** ، تحقيق : د . مجدي باسلوم ، ط 1 ، بيروت : دار الكتب العلمية .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة (1960 م) ، ***المعجم الوسيط*** ، ط 1 ، دار الدعوة .

ابن منظور ، محمد بن مكرم (1414 هـ) ، ***لسان العرب*** ، ط 3 ، بيروت : دار صادر .

الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة (2000 م) ، ***العقيدة الإسلامية وأسسها*** ، ط 9 ، دمشق : دار القلم ، بيروت : الدار الشامية .

النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي (1392 هـ) ، ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*** ، ط 2 ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .